المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٦/٢٠

د. محمد اسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

ايام الرعب !

عندما تم تكليفى بإعادة صياغة خطاب للرئيس السادات طلبت مهلة أسبوع لإعداد الخطاب فقيل لى: الريس هيشوفه الصبح مجموعة أوراق بخط يد السادات تتسبب فى « حبسى » إنفراديا أحد المعارضين راودته فكرة إغتيال السادات قبل عام من حادث المنصة

كان الجو قارس البرودة ، وتمنيت ان اظل قابعا فى دفء الفراش انعم بالقراءة والتأمل .. ولكنى رفعت سماعة التليفون للتحدث مع منصور حسن ، فى ذلك اليوم السادس من ديسمبر ١٩٨٠ .. كانت الساعة هى التاسعة صباحا .. وتوقعت ان تكون المحادثة لمجرد التحية وتبادل الاراء فيما يحدث بين جدران مركز الدراسات وخلف الاستار .. لكن المحادثة طالت ، وطلب منى منصور حسن ان اقابله بمكتبه بشارع حسن صبرى بالزمالك فى الساعة الثامنة مساء اليوم للاهمية .

وأيقنت ان على ان اغادر البيت فى مساء تصطك فيه الاسنان وترتعد الفرائص .. ولا اعلم الى متى يستمر اللقاء ..

توجهت فى الموعد المحدد ، وقابلت منصور حسن .. انتحى بى فى مكتبه الخاص ، وقدم لى مجموعة من الاوراق ، قال انها من كتابة الرئيس بخط يده .

□ كانت الكتابة بقلم جاف ، مليئة بتعديلات واضافات بخط الرئيس .. وقال منصور حسن ، ان هذه الاوراق ، هى مشروع لخطاب الرئيس امام الحزب الوطنى .. وانه يريد منى اعادة صياغتها باسلوبى ، بعد ان حدد الرئيس محاور الخطاب واساسياته .. وان هذا الخطاب ، مطلوب منى تطويره ، ليكون كتابا .

وكانت المهمة بالنسبة لى شاقة ، لانها مفاجئة .. ولان ما سأكتبه سينسب الى رئيس الجمهورية .. اى ان على ان انتقى الالفاظ والحروف بدقة بالغة .. وكان من الواضح ان شخصا ما ، قد كتب الخطاب ، ثم قام الرئيس باجراء تعديلات واضافات على هوامشه وبين سطوره .. ولازلت احتفظ بهذا النص التاريخى .

قلت لمنصور حسن ، وانا اجمع الاوراق ، سوف اعكف على كتابته فى البيت ، لانتهى منه خلال اسبوع .. فابتسم قائلا :

ـ دا مطلوب الليلة ، علشان الرئيس حيشوفه الصبح .. واسقط فى يدى .

كنت جائعا .. امنى النفس بالعودة للبيت لتناول العشاء ويعنى ما قاله منصور حسن ، اننى سأمضى ليلتى على الطوى . وانا (عصافير بطنى) قد تزعج (بنات افكارى) !!

وصارحت منصور حسن بذلك لكنه طمأنى ، وسار معى خارجا من مكتبه الى غرفة اخرى ، قائلا لى :

ـ هذه الغرفة لك الليلة .. وسيقوم على خدمتك رجال مكلفون بذلك .

□ وفى الحقيقة لم اكن مرتاحا لتناول (الكيك او الجاتوه) كعشاء .. فانا اكره الحلويات .. وارتفعت ليلتها قيمة (الفول والطعمية) بإعتبارهما من اصدقائى المقربين .. وتمنيت كما تمنى الحواريون من (عيسى) ان ينزل الله عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيدا .. تمنيت ان يهبط علىّ (مائدة عيش فول وطعمية) يكون لى عيدا .. ولم ينزل !!

وانما ظلت رائحته بالوهم والشوق ، تداعب خيالى وانا (محبوس) فى غرفتى .. بين اخطر كلمات يمكن ان اكتبها .

كان الخطاب كله عن تطلعات الرئيس الشهيد

لمستقبل مصر وكان خياله جامحا اخاذا ومثيرا .. يريد ان يكون كل مصرى سعيدا هانئا فى بيته ..

كان يفكر ـ وانا افكر ـ فى الامن الغذائى !! وهكذا كانت المصادفة الغريبه .. ان امضى ليلتى فى كتابة تصورات الرئيس عن الامن الغذائى ، وقلبى يهفو الى (ساندويتش فول وطعمية) ..

كنت امتعض وانا اكتب عن مزارع السمك .. والبيض .. والدجاج .. والخضر .. والفاكهة .. ومشروع الصالحية وكنت اهتف وحدى بعد كل غذاء من هذا (والفول والطعمية ياريس !!) .. لدرجة اننى ـ فعلا ـ لاحظت بعد مراجعة ما كتبته ، اننى قد كتبت جملة لاانساها :

- ايـهـا الاخـوة والاخـوات .. ان مـزارع الفول والطعمية سوف تنتشر فى كل مكان ؟

وحمـدت الله اننـى اكتشفتها قبل ان يقراها الرئيس فى خطاب عام .. وشطبتها ووضعت بدلا منها (الخضر والفواكه) !!

□ كانت عقارب الساعة تشير الى الخامسة صباحا .. والرجل الذى يقوم عـلى خدمتى يجلس على كرسى فى الصالة ، وقد تدلت رأسه على صدره .. اما انا فقد تم تعبئتى بالشاى واليانسون والجنزبيل او (الزنجبيل) فى قول اخر !!

انهيت الخطـاب الذى وصلت صفحاته الى نحو ٢٥ صفحـة .. ووضعتـه فى مظروف وتركته فى المكان المتفق عليه ..

كنت قد استطعت ان اشترى سيارة (١٢٤ فيات) بـ ٢٠٠٠ جنيه تحملنى الى بلد لم اكن بالغة الا بشق الانفس .

تسللت الى حديقة المبنى رقم ١١ بشارع حسن صبرى .. وركبت سيارتى عائدا الى بيتى .. والشوارع خالية ، الا من ، رذاذ خفيف يتساقط على زجاج السيارة .. ورائحة الفول والطعمية تفوح من احد المطاعم فى شارع رمسيس بالعباسية !! اوقفت سيارتى متلهفا ، والتهمت احبائى فى سعادة بالغة ، نسيت خلالها كل ما كتبته فى الزمالك وقلت فى نفسى ، هذا هو الامن الغذائى الحقيقى ..!!

كانت اجواء مصر السياسية فى هذا العام ، مليئة بالكثير من الغيوم ..

والصدام الجاد بين السادات واحزاب المعارضة على اشده والسادات نفسه ، بدأ يتخلى عن هدوئه وحنكته بعد ان استفزته بعض الاقلام المعارضة ، بكثرة الحديث عن (سيدة مصر الأولى) !!

كان وصفها لانها (سيئة مصر الأولى) يحز فى نفسه حزا عميقا ويخرجه من هدوئه .. وبدأ يشعر ان هؤلاء المعارضين الذين كان يجب ان يدينوا له بالولاء او على الاقل بالعرفان ، قد انقلبوا اعداءا له يتربصون به الدوائر .

كانت خطب الشيخ عبد الحميد كشك تصل اليه ، وكذلك خطب الشيخ المحلاوى .. وكان يرد عليهم فى احاديثه الخاصة والعامة بالفاظ نابيه من نفس النوع الذى كانوا يستعملونه ..

□ فى هذه الآونة ، لم اعتبر نفسى معارضا ولا مؤيدا لنظام الحكم ، وانما كان هناك درجة كبيرة من (التوافق) لا (الموافقة) .. لم تمنعنى من صداقاتى وعلاقاتى مع بعض رموز المعارضة ..

وقد اندمجت فى ذلك الحين ، مع اثنين من اشد المعارضين للسادات .. كنت اسمع وجهة نظرهما فيه ، لاحيط بالصورة من كل جوانبها .

□ ومع واحد من هؤلاء ، كان لهذا المعارض مجلة عنيفة النقد والاستفزاز للسادات .. كنت اكتب فيها ، وكان هذا الصحفى يشعر ان صحيفته بلا ترخيص ، وسوف يتم ايقافها لانه من حيث الشكل كتاب غير دورى ..

اتصل بى ورجانى ان اتوسط لدى منصور حسن بصفته وزير اللاعلام ولم افلح .

اقام لى مأدبة عشاء فى بيته .. وكان عشاء اسريا فـاخرا .. وكـان لايتـرك (المسبحة) من يديـه .. وبعد ان انتهينا من العشاء قـدم لى زجـاجـات من الـويسكى والشمبـانيـا !! اعترانى ذهول مباغت .. ونظرت الى (مسبحته) والى زبيبة الصلاة فى جبهته ، وقلت له متوسلا انا لا اشرب .. اعطنى (سفن او بيبس) !!

وبقدر ما ادهشنى تقديم الخمر على مائدة العشاء ، ادهشه هو الا اشرب انا ، وقـال مندهشـا مبهورا ، ضاربا كفا بكف .

ـ الدكتور محمد اسماعيل مابيشربش !! اما عجيبة !!

وامـام اصرارى عـلى التمسك بهذه (العجيبة) (الغـريبـة) نـزل عـلى ارادتى ، وقدم لى (زجاجة سـاقعة) جـالسا يحتسى المشروب الجهنمى ليزيده اشتـعـالا فى مهـاجمـة السادات !!

خرجت من عنده ، بقرار مفاده .. لا اتصال به بعد اليوم !! وقد كان !! وبدأ يشن على شخصى حملات شعواء متهما شخصى باننى (عميل حكومى) .. وكنت ارد عليـه ، مـع بعض الاصـدقاء قـائلا : اننى افضل ان اكون عميـلا لحكومة مصر على ان اكون عميلا لشيطان جهنم !! .. وانتهت تماما علاقتى به !!

وكان يملأ الدنيا صراخا عن المبادىء والقيم والمثل التى يهدرها السادات وزبانيته !!!

□ اما الاخر ، فقد كنت اكن له احتراما عظيما .. لأنه كان استاذى ..

قمت بـزيارتـه ، وهـو القطب المعارض البارز .. كان قليل الكلام ، لكنه كان عالما فاضلا ، وانسانا بكل ما احسسته نحوه من مشاعر .

وجدت عنده عدد يتجاوز العشرة من المعـارضـين للسادات وكان من بينهم محام مشهور ، انتقل الى جوار ربه ، وكان فى شبابه عضوا فى شباب الوفد .

ودار الحديث عن كيفية مواجهة السادات !!

القى الرجل كلمة جعلتنى اغوص فى مقعدى !! قال ان الوسيلة الوحيدة لمواجهة

السادات هى (الاغتيال) !!
كـان ذلك قبـل اغتيـال
السادات بعام واحد .

لكنه اردف قائلا :

ـ اغتيال السادات نفسه مش حاينفع .. وانما لابد من اغتيال من حوله ... حتى يصاب بالـرعب ، ويتخبط فى قراراته ، فتحدث الثورة الشعبية .

لم أكن اعرف احدا من الجالسين الا القطب المعارض ، وهذا المحامى الذى كان له تاريخ طويل فى النضال .. واحسست ان المكان ليس مكانى .. ودار بخيالى شريط مرعب مخيف .. حينمـا اعلن القطـب المعارض ، ان عمال التليفونات يحضرون دائما لاصلاح عطل غير موجود .. وانهم ربما يكونون من مخابرات السادات جاءوا ليزرعوا ميكروفونات للتصنت ..!! .

وضعت يـدى عـلى رقبتى .
وشاهدت صورتى منقادا بالسلاسل والاغلال الى المشنقة بتهمة التآمر على اغتيال رئيس الجمهورية !! ولن ينفعنى اى اعتذار .

نهضت فورا ، وودعت استاذى العظيم ، الذى تاكدت فيما بعد ، ان السادات كان يكرهه .. وعدت الى

بيتى منتظرا بين لحظة واخرى ، مداهمة منزلى والقبض على بتهمة قادتنى قدماى الى سماعها .

□ وكان لهذه المقابلة وقع خطير على نفسيتى .. وذلك ان عاما مر على ذلك وانا اسير لهذه الليلة الغريبة .. حتى جاء الأول من سبتمبر ١٩٨١ !!

اخبرنى فى كلية الشريعة والقانون .. وفى البيت ، ان السكرتيرة الخاصة للرئيس تطلب منى ان اقابل الرئيس !!

■■■

كان خبرا صاعقا .. اصابنى بالتوجس والقلق !! وتداعت الى ذاكرتى تلك الليلة .. اذن كان القطب المعارض صادقا .. وتم تسجيل مادار فى هذه الليلة .. وربما يكونون قد انتظروا ان اقول شيئا ، فلم اقل !!

ثم دار بمخيلتى ان ذلك ربما يكون (مقلبا) من احد الزملاء الحاقدين على شخصى .. فقد كنت اعيش فى بحر من حقد الزملاء يتراوح بين وصفي باننى (بتاع الحكومة) او (بتاع السادات) !! اننى استكتب فاكتب ما يملى على ..

□ وترددت كثيرا فى الاستجابة

لهذه الدعوة المثيرة .. لكن قررت الاتصال بمنصور حسن ، الذى كان قد استقال من مناصبه الوزارية ، واصبح بقرار جمهورى ، وكيلا لمجلس الشعب .. وسألته ان كان له علم بطلب الرئيس مقابلتى ، فنفى ثم عاودت الاتصال به فى الاسكندرية استشيره فيما يجب ان افعله .

قال انه لايعلم شيئا عن هذا الطلب .. وان على ان اظل محايدا ملتزما بالخط الذى التزمته ، مستقلا حرا لا اعبر الا عما اراه سواء اتفق مع سياسة الحكومة او لم يتفق ، وحذرنى من اغوص فى قاع اى وظيفة تعرض على حتى لااكون مجرد مخلب ضد المعارضه .. فاكدت له التزامى .. لكنى قلت له اننى مرعوب ولا اعرف سبب هذا الاستدعاء .. وهل سيقبضون على !!

فضحك قائلا : لا طبعا مش باين .. ثم قال : ان على ان اتصل بالسكرتيره الخاصة بالرئيس للتاكد من هذا الاستدعاء .. واعطانى ارقام التليفونات .

امسكت بالسماعة مرتعش اليدين .. اسأل .. انا فلان .. وقبل ان اواصل سؤالى ، رد على المتحدث : اهلا بالدكتور محمد ..

الرئيس عاوز يقابلك فى المعمورة يوم الاربعـاء ٢ سبتمبر فسـألته .. متعرفش ليه .

ـ لا طبعا ماعرفش .

استرحت بعد ان تاكدت من صدق الدعوة .. لكن لم استرح لما عساه ان يحدث لى !!

ولم انم ليلتها .. كتبت وصيتى وحادثت زوجتى عن كافة الاحتمالات واتصلت باخى الدكتور على اسماعيل والدكتور مصطفى ، ليرافقانى الى الاسكندرية ، حتى يعودا لابلاغ الاسرة نبأ القبض على .

□ وركبت سيارتى، التى قدتها لاول مرة الى الاسكندرية .. غير عابئ لعدم اتقانى للقيادة على طريق سريع .

كان لسان حالى يقول : تعددت الاسباب والموت واحد .. ومن لم يمت بالسيارة مات بالسادات !!

انور السادات